مقال لجريدة المشاهير

دور المجلس الملى ومجالس الكنائس
وعلاقتها بقداسة البابا وبالآباء الأساقفة
فى ضوء التعليم الرسولى

بقلم الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ البرارى

العصر الرسولى:

منذ نشأة الكنيسة المسيحية فى يوم الخمسين بدأت حياة الشركة فى الجماعة المسيحية.

وكان الذين يؤمنون بالمسيح يبيعون الأملاك والمقتنيات ويضعون أثمانها عند أقدام الرسل ليقوموا بالتوزيع على المؤمنين كل حسب إحتياجه.

وبالإضافة إلى ذلك نشأت فكرة موائد الطعام المشتركة بعد الاحتفال الإفخارستى. بمعنى أن القداس الإلهى والتناول من جسد الرب ودمه صارت تعقبه موائد الأغابى.

وتتضح هذه الأمور من النصوص التالية:

"وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَوَاتِ. وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً. وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ. وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ. مُسَبِّحِينَ اللهَ وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ" (أع ٢: ٤٢-٤٧).

"وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً. وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ. إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجاً لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ حُقُولٍ أَوْ بُيُوتٍ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَأْتُونَ بِأَثْمَانِ الْمَبِيعَاتِ. وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ" (أع ٤: ٣٢-٣٥)

ولكن بدأت أعباء خدمة الموائد تتزايد مع تزايد عدد المتنصرين من اليهود ومن الأمم أى اليونانيين وغيرهم. وحدث بعض تقصيرات فى الخدمة لكثرة الأعباء فشعرت الكنيسة بحاجتها إلى إنشاء درجة جديدة تعاون خدمة الآباء الرسل وهى درجة الشماسية. وبالفعل تم إقامة شمامسة لخدمة الموائد الخاصة بأرامل اليونانيين وهذا ما ورد فى سفر الأعمال كما يلى:

"وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ تَكَاثَرَ التَّلاَمِيذُ حَدَثَ تَذَمُّرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ عَلَى الْعِبْرَانِيِّينَ أَنَّ أَرَامِلَهُمْ كُنَّ يُغْفَلُ عَنْهُنَّ فِي الْخِدْمَةِ الْيَوْمِيَّةِ. فَدَعَا الاِثْنَا عَشَرَ جُمْهُورَ التَّلاَمِيذِ وَقَالُوا: «لاَ يُرْضِي أَنْ نَتْرُكَ نَحْنُ كَلِمَةَ اللهِ وَنَخْدِمَ مَوَائِدَ. فَانْتَخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ مَشْهُوداً لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ فَنُقِيمَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَاجَةِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَنُواظِبُ عَلَى الصَّلاَةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ». فَحَسُنَ هَذَا الْقَوْلُ أَمَامَ كُلِّ الْجُمْهُورِ فَاخْتَارُوا اسْتِفَانُوسَ رَجُلاً مَمْلُوّاً مِنَ الإِيمَانِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ وَفِيلُبُّسَ وَبُرُوخُورُسَ وَنِيكَانُورَ وَتِيمُونَ وَبَرْمِينَاسَ وَنِيقُولاَوُسَ دَخِيلاً أَنْطَاكِيّاً. اَلَّذِينَ أَقَامُوهُمْ أَمَامَ الرُّسُلِ فَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمِ الأَيَادِيَ. وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَنْمُو وَعَدَدُ التَّلاَمِيذِ يَتَكَاثَرُ جِدّاً فِي أُورُشَلِيمَ وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْكَهَنَةِ يُطِيعُونَ الإِيمَانَ" (أع ٦: ١-٧).

ولكن لم تقتصر خدمة الشمامسة على الموائد لأن الخدمة فى معناها الحقيقى هى خدمة البشارة لذلك نجد أن إستفانوس أول (أو رئيس الشمامسة) إلى جوار خدمته لموائد أرامل اليونانيين قد باشر الكرازة بالإنجيل وحاور مجامع اليهود وأفحمهم وانتهى الأمر باستشهاده. وقد ورد ذلك فى سفر أعمال الرسل كما يلى:

"وَأَمَّا اسْتِفَانُوسُ فَإِذْ كَانَ مَمْلُوّاً إِيمَاناً وَقُوَّةً كَانَ يَصْنَعُ عَجَائِبَ وَآيَاتٍ عَظِيمَةً فِي الشَّعْبِ. فَنَهَضَ قَوْمٌ مِنَ الْمَجْمَعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَجْمَعُ اللِّيبَرْتِينِيِّينَ وَالْقَيْرَوَانِيِّينَ وَالإِسْكَنْدَرِيِّينَ وَمِنَ الَّذِينَ مِنْ كِيلِيكِيَّا وَأَسِيَّا يُحَاوِرُونَ اسْتِفَانُوسَ. وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُقَاوِمُوا الْحِكْمَةَ وَالرُّوحَ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ. حِينَئِذٍ دَسُّوا لِرِجَالٍ يَقُولُونَ: «إِنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ تَجْدِيفٍ عَلَى مُوسَى وَعَلَى اللهِ». وَهَيَّجُوا الشَّعْبَ وَالشُّيُوخَ وَالْكَتَبَةَ

فَقَامُوا وَخَطَفُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَجْمَعِ. وَأَقَامُوا شُهُوداً كَذَبَةً يَقُولُونَ: «هَذَا الرَّجُلُ لاَ يَفْتُرُ عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ تَجْدِيفاً ضِدَّ هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُقَدَّسِ وَالنَّامُوسِ. لأَنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هَذَا سَيَنْقُضُ هَذَا الْمَوْضِعَ وَيُغَيِّرُ الْعَوَائِدَ الَّتِي سَلَّمَنَا إِيَّاهَا مُوسَى». فَشَخَصَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْجَالِسِينَ فِي الْمَجْمَعِ وَرَأَوْا وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ" (أع ٦: ٨-١٥).

وبعدما شرح استفانوس تاريخ عمل الله مع شعب إسرائيل وأنذر اليهود فى رفضهم للسيد المسيح:

"لَمَّا سَمِعُوا هَذَا حَنِقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ. وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَقَالَ: «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ». فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُّوا آذَانَهُمْ وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ. وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ. فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي». ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيَّةَ». وَإِذْ قَالَ هَذَا رَقَدَ" (أع ٧: ٥٤-٦٠).

وأيضاً فيلبس أحد الشمامسة السبعة ذهب لتبشير أهل السامرة فآمنوا أيضاً على يديه ثم بشّر وزير كنداكة ملكة الحبشة وقاده إلى الإيمان. وذهب بعد ذلك إلى أشدود وبينما هو يجتاز كان يبشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية (انظر أع ٨: ٤-١٧ن ٢٦-٤٠).

ومع تطور الخدمة الخاصة بالآباء الرسل وانتشار الكرازة بالإنجيل بدأوا فى إقامة قسوس لمعاونتهم فى خدمة الأسرار الكنسية ورعاية الشعب ثم إقامة أساقفة ليكونوا خلفاء لهم فى سائر المناطق وللإشراف على خدمة القسوس والشمامسة فى كل منطقة أو إيبارشية. ومن الطبيعى أن يقام الأسقف فى العصر الرسولى من بين القسوس فهو يحمل درجة الأسقفية ودرجة القسيسية معاً وهو رئيس كهنة. ومن الطبيعى أيضاً أن يقام القسوس من بين الشمامسة. فتكونت بذلك الدرجات الكهنوتية والخدمية الثلاث فى الكنيسة وهى الشماسية والقسيسية والأسقفية. وقد ورد عن هذه الدرجات الثلاث ما يلى فى الأسفار المقدسة:

- ❖ **درجة الأسقفية:** "يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ" (تى ١: ٧).
- ❖ **درجة القسيسية:** "مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كِرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخاً كَمَا أَوْصَيْتُكَ" (تى ١ : ٥).

"وَمِنْ مِيلِيتُسَ أَرْسَلَ إِلَى أَفَسُسَ وَاسْتَدْعَى قُسُوسَ الْكَنِيسَةِ" (أع ٢٠: ١٧).

❖ **درجة الشماسية:** أوردنا بدايتها فى سفر أعمال الرسل الإصحاح السادس ويضاف إلى ذلك ما كتبه بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس "كَذَلِكَ يَجِبُ انْ يَكُونَ الشَّمَامِسَةُ ذَوِي وَقَارٍ، لاَ ذَوِي لِسَانَيْنِ، غَيْرَ مُولَعِينَ بِالْخَمْرِ الْكَثِيرِ، وَلاَ طَامِعِينَ بِالرِّبْحِ الْقَبِيحِ، وَلَهُمْ سِرُّ الإِيمَانِ بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ. وَإِنَّمَا هَؤُلاَءِ أَيْضاً لِيُخْتَبَرُوا اوَّلاً، ثُمَّ يَتَشَمَّسُوا انْ كَانُوا بِلاَ لَوْمٍ" (١تى ٣: ٨-١٠).

وأشارت تعاليم الآباء الرسل فى الدسقولية أن الشمامسة لا يفعلون شيئاً بدون إذن الأب الأسقف. وأن الأسقف كما هو مؤتمن على أنفس الناس فهو مؤتمن على أموال الكنيسة.

والقديس أغناطيوس الثيئوفوروس تلميذ القديس يوحنا الإنجيلى فى رسالته إلى أهل سميرنا قد أوضح طبيعة العلاقة بين القسوس والشمامسة والأسقف فى ضوء العلاقة مع السيد المسيح، كما أوضح المفهوم السليم لرئاسة السيد المسيح للكنيسة الجامعة فى رسالته إلى أهل سميرنا كما يلى:

"*انظروا أنكم جميعاً تتبعون الأسقف، كما يتبع المسيح يسوع أيضاً الآب، وتتبعون جماعة القسوس كالرسل، وتوقرون الشمامسة كمؤسسة الله. ليس من المسموح لأى إنسان أن يصنع شيئاً متعلقاً بالكنيسة بدون الأسقف. ولتحسب هذه إفخارستيا صحيحة التى يديرها الأسقف أو من يعهد هو إليه بذلك. وحيثما يحضر الأسقف فليحضر هناك أيضاً جماعة الشعب، كما أنه أيضاً حيثما يوجد المسيح يسوع فهناك الكنيسة الجامعة*". (A.N. Fathers, EERDMANS Publishing Comp., Vol. I. p.89,90)

عصر قداسة البابا شنودة الثالث:

بهذه المفاهيم الكتابية والرسولية قام قداسة البابا شنودة الثالث بسيامة أعضاء المجلس الملى العام شمامسة وذلك بعد أول إنتخاب له لمعاونته فى إدارة أملاك البطريركية، وفى خدمة شئون الأقباط الأرثوذكس فى المحافل العامة.

والملاحظ هنا أن المجلس الملى العام قد ضم ويضم بعض الآباء الكهنة (قمامصة أو قسوس) وقد يتبادر إلى الذهن السؤال التالى:

ما هو دور العلمانيين فى الكنيسة؟

الحقيقة أن مجالس الكنائس مثلها مثل المجلس الملى تتكون فى الوضع الأصلى من شمامسة يخدمون فى الكنيسة. الشماس يلزمه تزكية من الشعب عند سيامته أو يكون منتخباً مثل عضو المجلس الملى العام.

ولكن الشماس الكامل مثل القسيس يكون متفرغاً لخدمة الكنيسة. أما من هم فى درجة مساعد شماس أو فى درجة قارئ أو مرتل فيمكنهم أن يجمعوا بين خدمة الكنيسة وممارسة أعمالهم أو وظائفهم. فهم من جانب يخدمون فى الكنيسة ومن جانب آخر يحيون مثل علمانيين أو أراخنة فى الكنيسة.

يضاف إلى ذلك أن الشعب من العلمانيين له دور أساسى فى انتخاب الأب البطريرك وفى انتخاب أو تزكية الأب الأسقف وفى تزكية الآب الكاهن وتزكية الشمامسة وفى انتخاب أعضاء المجلس الملى.

يضاف إلى ذلك أن الكنيسة تحتاج إلى خبراء فى القانون والاقتصاد وإدارة الأعمال. وقد تحتاج إلى أطباء لإدارة المستشفى التابع للكنيسة، وصيادلة وخريجى كيلة العلوم، وتحتاج إلى مهندسين لمشروعات الكنيسة فى مبانى الكنيسة وملحقاتها الخاصة بأنشطة الخدمة، وخبراء فى الرياضة لأنشطة الشباب، وخبراء فى الكومبيوتر لمراكز المعلومات، وخبراء فى الفن لرسم الأيقونات وإخراج المسرحيات والأفلام الدينية، وخبراء فى الشعر وفى الموسيقى لعمل الترانيم الروحية، وتكوين كورالات الترانيم، وخبراء فى الطباعة لنشر الثقافة والمطبوعات الكنيسة، وخبراء فى الصحافة لرئاسة تحير المجلات الكنسية، وخبراء فى القنوات الفضائية للعمل فى القناة الكنسية.

وتحتاج الكنيسة إلى شمامسة مكرسين لخدمة الرجال والشباب، وشماسات مكرسات لخدمة المرأة والطفولة وخدمة الأرامل واليتيمات.

وتحتاج الكنيسة إلى أساتذة فى كليات اللاهوت من خريجى الكلية الإكليريكية مستقيمى الرأى والعقيدة.

كما تحتاج إلى خدام وخادمات لمدارس التربية الكنسية وهؤلاء حالياً مئات الآلاف يعملون فى تنشئة الأجيال الجديدة والتعليم الدينى لمساعدة الأسرة فى تعليم أبناءها قواعد الإيمان السليم والحياة الروحية.

ولنا من أعضاء المجلس الملى العام أعضاء فى مجلس الشعب وفى مجلس الشورى يؤدون دورهم بكل فاعلية. ولنا أعضاء فى هيئة الأوقاف القبطية يعينون من العلمانيين أو الشمامسة بقرار يديرون كل أوقاف الكنيسة مع عدد مساو من المطارنة أو الأساقفة.

الكنيسة فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث أصبحت مثل خلية نحل كل من فيها يعمل فى بناء ملكوت الله. فكيف يتطاول كمال زاخر موسى، وجورج حبيب بباوى على الكنيسة، ويدّعون أن العلمانيين ليس لهم دور فى حياة الكنيسة؟! ربما يقصدون أن ليس لهم رئاسة الكهنوت فى الزى العلمانى، لأنهم لم يتمكنوا أن يرتدوا زى الكهنوت بصورة مزيفة مثل "مكس ميشيل، القارئ الكنسى المستبعد من خدمته. إن أولئك وهؤلاء هم بروتستانت يريدون إلغاء تقليد الكنيسة الأرثوذكسية سواء بإلغائه أو بتزييفه فكفاهم خداعاً لأن أمرهم مكشوف لشعبنا العامل فى كنيسته.